التشظي الهوياتي في رواية "مرسى فاطمة" لحجي جابر

The fragmentation of identities in the novel of Harbor Fatima by Hadji dJaber

يوسف بكاكرية *

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر

الملخص:

كَوْنُ إفريقيا تنتمي للعالم الجنوبي (جنوب خط الإستواء) فهذا جعل منها هدفا للمطامع الإستعمارية مطلع القرن 19 م ، وعرفت إفريقيا التي عاشت كثيرا من القرون شبه معزولة عن بقية العالم حركة غريبة بدأت بغزو الحركة الإستعمارية الفرنسية بدرجة أولى ثم البريطانية بدرجة ثانية ثم الإيطاليةو الإسبانية بدرجة أقل، تحت حجج واهية منها ما هو ديني كالحملات التبشيرية ومنها ماهو اقتصادي ...، هذا الوجود الأجنبي جعل من إفريقيا بشمالها وجنوبها وغربهاوشرقها تدرك أنها تعيش مع أقوام آخرين يختلفون عنهم شكلا (لون البشرة) ومضمونا، وتقاليدهم تختلف عن تقاليد إفريقيا ونظم حكمهك مختلفة عن نظم حكم إفريقيا... والكثير من نقاط الإختلاف التي لامسها الإفريقي بعد احتكاكه بالأجنبي الذي فرض نفسه على الواقع الإفريقي، ولأن مدة الوجود الغربي قد طالت في أدغال إفريقيا بدأت نواة الهوية الأفريقية تتفكك وتتشظى لهويات صغيرة سواء بطريقة عفوية أو بمخططات استعمارية غايتها مسخ الوجود الإفريقي وجعله تابعا للمركزية الأوروبية والغربية ماديا ومعنويا، ولهذا فمع نهاية النصف الأول من القرن العشرين وبداية النصف الثاني لهذا القرن الذي عرف تصفية لنسبة كبيرة من الحركات الإستعمارية، وجد الأفريقي أن هوية أجداده الأولى قد أصبحت محل سؤال وشك خاصة إذا علمنا أن بعض الدول الإفريقية سعت لغزو دول أخرى كمحاولة لتصفية التركة الغربية، مثلما حصل بين إثيوبيا وإريتيريا، كل هذا ساهم في طرح العديد من الأسئلة حول مسألة الهوية الإفريقية، إنعكست بطبيعة الحال على الأدب وعلى الرواية خاصة لكونها الجنس الأكثر مقروئية مثل كتابات آن الصافي وزهرة مرسل وحجي جابر ...

كلمات مفتاحية: الهوية الإفريقية، حجي جابر ، للمركزية الأوروبية، الرواية الإفريقية.

Abstract:

The fact that Africa belongs to the southern world (south of the equator) made it a target for colonial ambitions at the beginning of the 19th century AD, and Africa, which lived for many centuries almost isolated from the rest of the world, experienced a strange movement that began with the invasion of the French colonial movement in the first degree, then the British in a second degree, then the Italians and the Spanish in a degree Less, under flimsy pretexts, some of which are religious, such as missionary campaigns, and some of them are economic... This foreign presence has made Africa, in its north, south, west, and east, realize that it lives with other peoples who are different from them in form (skin color) and content, and their traditions are different from the traditions of Africa and your systems of rule are different. On the systems of governance in Africa...and many of the points of disagreement that the African touched after his contact with the foreigner who imposed himself on the African reality,

Keywords: *African Identity, Haji Jaber, Eurocentrism, African Novel*

*** *** ***

* جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي (الجزائر) youcef.bekakria@univ-oeb.dz

مقدمة:

يعتبر سؤال الهوية من أهم الخطابات التي طبعت الأدب الإفريقي،على اختلاف اللغات التي كتب بها محلية كانت أم تركة استعمارية، وهذا راجع لتعدد القوميات والإثنيات الإفريقية من جهة، وانعكاس لما عاشته هذه القارة من إرساليات تبشيرية وتجارة للبشر وغزو أجنبي من جهة أخرى، هذه التقلبات التاريخية بالإضافة الصراعات الداخلية والحروب الأهلية وأزمات ترسيم الحدود بعد تصفية الاستعمار، جعلت من الإنسان الإفريقي يعيش حالة من الضياع والتغريب النفسي، حين وجد نفسه مهددا في حياته حتى من أقرب الناس إليه؛ أخوه الذي قاسمه نفس المعاناة ونفس الماضي الأليم، ولكنه لا يرغب في مقاسمته نفس المستقبل، بل يريد أن تظل إفريقيا على حالها حتى لو استقلت من الوجود الأجنبي يجب أن تظل ثقافة العبد والسيد قائمة حتى تظل هناك كيانات ودول، وإلا فمصير إفريقيا الانقسامات المتتالية التي قد تعيدها لزمن القبلي، هذا الوضع الذي تعيشه إفريقيا منذ النصف الثاني من القرن العشرين، جعل من الرواية الإفريقية هي الأخرى تعيش هذا التشظي وهذا الانقسام، وانعكس على كتابات الرواة خاصة في المناطق التي لازالت لحد اليوم تعيش نوعا من الصراع الثقافي والعرقي داخليا، سواء من الناحية الشكلية والقالب العام للرواية، مثل اختيار لغة الكتابة، أو من ناحية المضامين التي تفرض على الروائي مهما التزم الحياد أن يكون طرفا من أطراف النزاع فمهم المثقف أن يحلل الواقع العام ويفسره للقارئ البسيط في شكل مسار سردي ممتع، ولكن هذه المهمة ستدفع به لإبداء رأيه في القضايا الجوهرية المتعلقة بمستقبل وطنه الأم ولو متخفيا خلف إحدى شخوصه التي خلقها، وهو ما سيعرضه للمضايقات والتصنيفات، والتصنيف في إفريقيا معروف، إما أنك وطني أو خائن للوطن. وبين هذا وذاك يحاول الروائي الإفريقي أن يخلق نوعا من التوازن في طرح الأفكار والرؤى، وهو ما يخلق نوعا من الصعوبة لدى القارئ في تحديد ملامح الهوية العامة لهذا الكاتب أو ذاك. يطرح نفس الأسئلة التي دفعت بالأديب والروائي للإبحار في عالم الرواية، فالأدب وإن كان لا يقل خطرا عن التصريح المباشر إلا أنه نوعية الخطاب الأدبي بتكثيفه ورمزيته وإيحاءاته قد تجنب الروائي كثيرا من المتاعب في مواجهة من يعارضونه الرأي، ولكنها في نفس الوقت تزيد من ضياعه الروحي والنفسي وحالة التغريب التي يعشها، لأنه سيكون الأنا والآخر في نفس الوقت، فما بالك إن كان الأنا ليس أنا واحد والآخر آخرون، وهو ذاته الواقع الإفريقي متعدد التوجهات والمذاهب والثقافات.

وهو ما يُصعب من مهمة الروائي الإفريقي، الذي سيفتقد لأهم المرجعيات التي ينطلق منها كمبدع، وهي هويته الذاتية أولا والوطنية والقومية ثانيا، أو سيحاول على الأقل التنقل بين هويات عدة بحثا عن الهوية الأنسب، وهو ما يتسبب في تشظي الهويات الذي نجده أيضا عند الكتاب العرب الأفارقة، وخاصة في إفريقيا السوداء، ولعل حجي جابر الروائي الإرتري ممن تتجلى في كتاباتهم هذه الظاهرة، لعدة اعتبارات منها ما هو متعلق بوطنه الأم إريترية ومنها ماهو متعلق به شخصيا من خلال ما عاشه كإنسان وكاتب، وهو ما جعلنا نختار نموذج لموضوع بحثنا روايته، مرسى فاطمة بناء على هذا تتشكل إشكالية بحثنا حول سؤال :

كيف تجلّت الهوية الإفريقية في كتابات الروائيين الأفارقة خصوصا كتاب القرن الواحد والعشرين ؟ وإلى أي مدى وفقوا في نقل ما يعيشه الإفريقي من مرحلة شك وسؤال واغتراب داخلي في

علاقته بهويته رغم كونه لا يزال يعيش في الأرض التي ولد فيها ؟

1. سؤال الهوية الإفريقية في فترة ما "بعد الكولونيالية":

أسالت فترة مابعد الكولونيالية أو ما بعد الحداثة الكثير من الحبر، وتعددت الدراسات في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وأيضا في مجال الفن والأدب، كل حسب زاوية دراسته وحسب هدف دراسته، واختلفت أساليب الدراسة من طرف لآخر، في من يراها مرحلة انتقالية نحو نظام عالمي جديد يعيد ترتيب الأولويات، وفي من يعتبرها خروجا من الظلمات إلى النور، إعادة للاعتبار الذاتي الذي حاولت ذوات أخرى طمسه وإلغاءه لمدة قرون خلت، والإنسان الإفريقي ينتمي للصنف الثاني الذي ذكرناه، فبعمليات إحصائية بسيطة نجد أن الإفريقي هو أكثر الأجناس اضطهادا على مر التاريخ، لأسباب يعرفها القاصي والداني، منها ما هو متعلق بلون البشرة ومنها ما هو متعلق بأطماع خارجية نحو الثروات الإفريقية التي تسيل لعاب القوى العالمية، ولهذا مثل توجه الإنسان الإفريقي لرد الاعتبار لذاته ولهويته مسألة حياة أو موت، إما إن يفرض كيانه وينظم لركب الحضارة الإنسانية، أو سيعود لنقطة البداية : الإنسان القبلي الذي هو دائما بحاجة لمن يمسك بيده ليقوده في خضم أمواج الحضارة المتلاطمة. ولهذا أدرك الإنسان الإفريقي في كل مكان من العالم حتى خارج إفريقيا أن" التحرير الحقيقي للأسود يستوجب استيعاءً للوقائع الاقتصادية والاجتماعية بالغ الصعوبة، فإذا كان ثمة عقدة نقص فهي حصيلة مسارين:

-اقتصادي، أولا؛ -وتاليا بالاستبطان، أو بتعبير أفضل، نسب هذه الدونية إلى لون البشرة،"[1] بمعنى أصح أن تصبح ثروات إفريقيا لإفريقيا وأن يصبح الإفريقي المستفيد الأول من خيرات الأرض التي يعيش عليها والتي ضحى أجداده لاستعادتها.

ولن يصل الإفريقي إلى ذلك إلا إذا حقق ذاته، وأعاد الاعتبار لهوية ضاربة في التاريخ حاول الغربي طمسها ومسخها لأن "البساطة الزنجية هي أسطورة اصطنعها المراقبون السطحيون"[2] وهذه الصورة النمطية يجب كسرها بطريقة واحد، هو تقديم ما لا يمكن للحضارات التي عمرت هذه الأرض أن تقدمه، وما يمكن أن يخدم به الإفريقي العالم هو ما" يشكل الزنوج، بنوع ما، ضمانة للإنسانية. فعندما يشعر البيض أنهم مُمَكننون كثيرا، يرتدون إلى البشر الملونين ويطلبون منهم قليلا من الغذاء الإنساني،"[3] هذه الإنسانية وهذه الروحانية، هي التي تمثل قوة الإفريقي وذات الإفريقي، في عالم غارق في الماديات والبرغماتية الفجة التي تعامل الإنسان كالآلة، لهذا يمثل الإفريقي العذرية والنقاوة، في مقابل الخبث واللاإنسانية العالمية، ليثبت للعالم الصور المغلوطة، حول "من كان هؤلاء الناس إذا، الذين كانت همجية لا مثيل لها على مر العصور، تنتزعهم على هذا النحو من بلدهم، من آلهتهم ومن عائلاتهم ؟

كانوا أناسا لطيفين، مهذبين، لائقين، متفوقين بلا شك على جلاديهم، تلك العصابة من المغامرين الذين كانو يكسرون إفريقيا، ينتهكونها، يشتمونها لكي ينهبوها على أحسن وجه.

كانوا قد شيدوا بيوتا ودبروا ممالك، وبنوا مدنا وزرعوا حقولا وذوبوا معادن، ونسجوا القطن وصهرو الحديد وصنعوه.

وكانت دياناتهم رائعة مكونة من اتصالات خفية بمؤسس الحاضرة كما كانت آدابهم الجميلة قائمة على التكافل والحفاوة واحترام السن.

لا إكراه، بل تعاضد وفرح بالحياة وانضباط طوعي حر. نظام-كثافة-شعر وحرية." [4]

هذا أساس الهوية الإفريقية الأصلي عكس ما روج عنها لقرون، وهذا ما سعر المثقف الإفريقي لكشف حقيقته للعالم بعد فترة ما بعد الكولونيالية، فإفريقيا الخارجة لتوها من غياهب الاستعمار، لا تؤسس لهوية جديدة، بل تعيد فرض هويتها المقموعة والمستبعدة من الواقع العالمي لقرون.

وهذا الفرض يصل عبر مجهود المثقف الإفريقي، لهذا نجد أن" أن التاريخ الثقافي الحديث في إفريقيا يكاد يكون في مجمله هو تاريخ البحث عن الذات وعن الهوية الوطنية ، أو بعبارة أخرى تاريخ الوعي بالخصوصية الإفريقية"[5] هذه الخصوصية التي تجعل منه متفردا عن الإثنيات الأخرى ليثبت نديته وحتى تفوقه، لأنه رغم كل ما يتميز به من ماديات الأرض التي ولد فيها، يتفوق على البقية بكونه لم يفقد بعد ما هو أهم من الماديات، وهي الإيمان بأن ما يجمعهم أكثر من مجرد قطعة أرض أو أوراق ثبوتية، وهذا " المنطق الواضح للزنوج سوف يتأكد أكثر فأكثر في ذلك اليوم الذي تزداد في الثروة ويؤدي التنظيم الاجتماعي المعقد إلى منع الجنوب من أن يغدو- كما هو في معظم الأحيان- مجرد معسكر مسلح هدفه إذلال السود، "[6] بمعنى أن يفرض الأسود تنظيمه الاجتماعي الجديد على العالم ليعيد رسم النظام العالمي الجديد ويحد ترتيبه بين الأمم، وهذا لا يكون إلا بهوية شاملة تجتمع فيها الهويات الإفريقية المتعددة، "فالهوية وترميمها من أكثر الاستراتيجيات حضورا، وهي تستغرق كافة المقاربات النقدية، فالدافع لكل منتج خطابي مقاوم هو في الحقيقة الهوية وتكوينها ، والتي سنأتي عليها تنتهج إستراتيجية مركزية، مفادها الحرص على ترميم الهوية في ظل ما يتهددها من إقصاء وطمس"[7] وهذه الإستراتيجيات يجب أن يؤسس لها المفكرون والنقاد في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي النقد الأدبي، لتنعكس على كتابات الأدباء والمبدعين، لتصل لأكبر قدر من الشعوب الجماهير فالفن بصفة عامة والأدب بصفة خاصة هو خير سفير للأفكار والرؤى والأيديولوجيات، التي كان على الإفريقي صهرها لتشكل فكرة واحدة ورؤية واحدة وأيديولوجيا واحدة، " لأن ما كانت تسعى إليه الدول الإفريقية قبل التحرر هو رد الاعتبار السياسي والاقتصادي والثقافي وإذا كان رد الاعتبار السياسي قد تحقق فلن يقل عنه أهمية رد الاعتبار الاقتصادي والثقافي أو بعبارة أخرى إزالة الصبغة الأوروبية والعودة للون الأصلي وتأكيد الشخصية الإفريقية والكيان الذاتي وإعادة أفرقة إفريقيا، "[8] الذي لا يكون إلا بإعادة الاعتبار للحضارة والتاريخ وللموروث الثقافي والفني الإفريقي، وحتى لو استعان المبدع الإفريقي بتقنيات الحاضر، فلابد أن يكون المضمون يعكس عمق الهوية الإفريقية وتراكماتها لتصل للصورة التي عليها الآن .

وتعد الرواية كجنس عالمي أكثر وسائل التعبير التي انبرت لهذه المهمة، على اختلاف اللغات التي كتبت بها، سواء كانت لغة إفريقية الأصل والنشأة، أو واردة من خارج القارة، ورغم ذلك حاول المبدع والروائي الإفريقي أفرقتها، لتكون إحدى المرايا العاكسة لهذه القارة الموسوعة بكل ما تحتويه من عادات وتقاليد وفكر رؤى، ويعتبر الروائي الإرتري حجي جابر أحد هؤلاء الذين لم ينساقوا وراء القوالب السردية الجاهزة والعالمية، بل اختار أن تكون الرواية التي تصور إفريقيا نابعة من عمق الذات الإفريقية في حد ذاتها، لتكشف الصراع الداخلي والخارجي الذي

يعيشه الإنسان الإفريقي فب رحلته لبحثه عن كينونته وهويته، فكيف تجلى ذلك في روايته مرسى فاطمة.

2. رحلة البحث عن الهوية في رواية مرسى فاطمة:

1.2.ملخص الرواية:

تدور الرواية حول شاب إرتري معفى من التجنيد الإجباري لأنه وحيد والديه بعد أن جند إخوته الأربعة، ولكنه يضطر للتطوع للذهاب إلى أقسى المعسكرات(ساوا) التي تجند الشباب قسرا بحثا عن حبيبته المختفية فجأة، والتي سمع أنها جندت قسرا لأن التجنيد لا يستثني ذكرا أو أنثى إذا توفرت فيه الشروط، أو إذا أبدى تمرد على ضد النظام القائم في البلاد، ولهذا يضطر هذا الشاب إلى اقتفاء أثر حبيبتهن ولكنه يفاجئن بعد وجودها في المعسكر، ثم تصله معلومة أنها قد تكون فرت من المعسكر ورحلت خفية إلى السودان كما يفعل كثير من الفارين من الخدمة العسكرية، لهذا يضطر للهرب وخوض مغامرة اللحاق بها، واضعا حياته في خطر محتم، وفي كل ما يعيشه يواجه هذا الشاب الذي يسمتحديات ومشاكل، تعيد تقويض المفاهيم العامة في ذهنه حول الحب والوطن والهوية.

2.2 تشظي الهوية بين الذات والوطن في رواية مرسى فاطمة:

وأنت تفتتح رواية مرسى فاطمة لحجي جابر تقابلك أولى تجليات هذا الانقسام الذي يحدث للهوية، ممثلة في أحد أهم مقوماتها وهو الوطن، فلا هوية دون وطن، والوطن ليس قط بمفهوم الجغرافي بل حتى بمفهومه الثقافي والفكري والأثربولوجي ولهذا فعبارة مثل "الوطن كذبة بيضاء.. يروج لها البعض دون شعور بالذنب، ويتلقفها آخرون دون شهور بالخديعة"[9] هي إعلان مسبق بأن أحد الأعمدة التي ترتكز عليه الهوية سَيُنْسف، أو على الأقل سيعاد صياغته كمفهوم وتجلي في الذات الإنسانية، في من يرى أن الوطن فوق كل اعتبار وفي من يرى أن الوطن مفهوم ذاتي يستحضره الإنسان حين يتوافق مع إيديولوجيته ويتمرد عليه إذا خالفها. لهذا فإحدى الخدمات التي يقدمها الناس عادة للأوطان كالخدمة العسكرية تصبح محل نقاش، وشد وجذب، في من يعتبرها إلزامية مهما كانت طبيعة هذا الوطن، وفي من يرى أنه وجب إسقاطها إذا كان الوطن لفئة دون أخرى ولهذا فلم يتردد اللفظ المرادف لهذه الخدمة الإلزامية في الرواية هناك من يراها النهاية أو الموت المحتم في سبيل لاشيء وهناك من يراها على العكس تماما وطنية وانتماء وحب للوطن ومن يعرض عن ذلك يعد" تصرفا غير وطني اشتهرت به هذه العائلة، كيف يحرمون قواتنا المسلحة من أحد أفرادها بهذه الأنانية؟"[10] أي أن أصحاب الرأي الثاني يرون أنه لا وجود للأنا وللذات في حضور الوطن وشرف الدفاع عن الوطن، في حين أن هناك من يراه نوعا من الانتحار إذا كان في سبيل قضية وهمية، أو درعا لحرمان الأسر من أولادها، وتصفية من قد يكونوا معارضين للسلطة يوما ما، وهو رأي **جبريل** صديق بطل الرواية حين أخبره أنه يريد التطوع للخدمة العسكرية للحاق بسلمى حبه الذي لا يموت:" هل تعلم أنه بقرارك هذا تحكم على نفسك بحياة أبدية في إطار العسكرية؟ هل تدرك أنك لن تعود لحياتك الطبيعية هذه أبدا، ستقضي عمرك في ميادين التدريب متنقلا بين حمل السلاح، ومواد البناء؟"[11] بعبارة أوضح أنك ستبني حياة غيرك على حساب هدم حياتك، وهنا بدأ صراح الذات والوطن بين من أحق أن يكون الهوية الأصلية والهوية المكتسبة هل يعقل أن يقوض

الإنسان ذاته ليبني بحطامها وطنا للآخرين في حين يهدم في نفس الوقت الوطن الداخلي الذي يولد معه، ويمنحه بفطرته حب الناس كما يحب نفسه، وليس حب الناس على حساب حب ذاته، ولهذا يعطينا الروائي صورة عن محاولة من يدعون أنهم حراس الأوطان لنفي ذواتهم وذوات غيرهم تخت ذريعة خدمة الوطن، في حين هم لا يخدمون الوطن بقدر ما يخدمون مصالح أناس يدعون أنهم هم الوطن، فمنذ اللحظة الأولى لدخول معسكر ساوا، " بدأ جندي برتبة عريف في إحصاء الحاضرين((102/19-423/19-107/19)) ...

تتعالى أصوات المجندين لتأكد حضورهم، إلى أن جاء دوري:205/19

كنت مدركا أنه رقمي لكن شيئا بداخلي بم يستطع التوافق معه، الانصياع له. شعرت بمسافة تفصلني عن هذا الرقم/ الاسم. كنت بحاجة إلى بعض الوقت حتى أستوعب هذه العلاقة الشاذة بيني وبين الرقم مئتان وخمسة"[12] وكأنه يقول أي وطن يمكن أن أضحي من أجله حتى باسمي الشيء الوحيد الذي أملكه في هذه المكان الذي تنعدم فيه أدنى شروط الحياة، الباب الأول الذي ألج به لذاتي، ما معنى ذاتي بدون اسمي، أين هويتي إذا حرمت من اسمي، أنا مجهول أن غير موجود أن مجرد رقم سيتم شطبه بجرة قلم إن حصل لي شيء أو مكروه، وهي السؤال الجوهري الذي يسعى الكاتب الإجابة عليه، أو يدفع القارئ عبر الاستدلال العقلي للإجابة عليه وحده.

أو بعبارة أصح أين يكون وطني؟ إذا كانت الأوطان التي هي مجرد رقعة جغرافية لا تجلب لنا إلا الشقاء والتعاسة. يدخلنا الكاتب عبر هذا السؤال، لمجال أوسع تتجلى فيه الأوطان، هل علاقتنا بالأوطان هي علاقة ولاء وخدمة فقط، أم هناك ما يمكن أن نحس به اتجاه الأوطان غير الفخر أحينا والخيبة أحيانا أخرى، هل يمكن أن نحب أوطاننا وتحبنا؟ وهل يمكن أن يتجلى الوطن في كل ما نحب؟ هو السؤال الذي يحاول الكاتب الإجابة عنه في علاقة البطل بحبيبته :" سلمى بالنسبة لي هي أيضا حلم يحجم الوطن، بين يديها اشعر بالأمان، ولجبينها الأسمر أنتمي، سلمى لغتي وحدودي وخارطة وعيي واحتياجاتي، أولا يستحق هذا الوطن أن ألهث خلفه حتى لو استقر هنا في ساوا؟[13] قد يبدو للبعض غزلا أو شوقا لفتاة أحبها وجد نفسه فجأة بدونها هو كذلك، ولكن الأعمق من ذلك هو أنها إعادة تشكيل المفاهيم التي يتعلمها الإنسان دغمائيا في صغره دون أن يملك حق الاعتراض أو مناقشتها، لذلك هو صياغة جديدة لمفهوم الوطن ومفهوم الهوية ومفهوم الذات، الذي يعتقد جازما أنه لا وطن بدون أمان ولا وطن بدون انتماء روحي وهذا لا يتم إلا بشيء واحد هو الحب، الهوية ليست مقومات ليست أسس ومبادئ نولد بها أو نكتسبها، الهوية هي ما نحب، وحين تكون الهوية هي ما نحب لن يضطر الإنسان للمفاضلة بين ذاته ووطنه، أو بين ذاته وأي شيء آخر في هذا العالم بل على العكس وقتها سيبحث الإنسان هو عن وطنه، لن يضطر الوطن لإجبار أبنائه على ما لا يحبون، فسوف يتألمون إذا ما لم يجدوا وطنهم كما يتألم بطل الرواية فهو يرى" المرأة كما الوطن، حين لا تأتي تضاعف من وجع الانتظار. لكن لا عليك، سنجدها"[14] وحين يجدها حتما سيجد هويته الحقيقية، ليست التي فرضت عليه قسرا، وحينها سيكون مستعدا للدفاع عن كل مقوماته عن طيب نفس، وأولها الوطن الذي ينتمي إليه ويمثل الأساس والأرضية التي تتركز عليه الهوية بكل ما تحمل من مفاهيم ورؤى. سيصبح الإنسان مهووسا به وقادرا على فعل أي شيء من أجل لإيجاده كما هو بطل الرواية مستعد لفعل اي شيء من أجل

لإيجاد وطنه المتجسد في الفتاة التي يحبها لأنه بالنسبة إليه" الوطن، نسعى غليه مهما أوغل في لابتعاد، امنح نفسك فرصة أخرى كي تجد وطنك، امنحه هو أيضا فرصة كي يجدك. كثيرة هي الحواجز التي تقف عادة بيننا وبين أوطاننا التي نتمنى"[15] والتي تمنى الإفريقي أن يجدها بعد الاستقلال، الفردوس المفقود الذي حكى له أجداده وآباءه عنه وعن خيراته، وعن حبهم له الذي دفعهم بالمحاربة من أجله حتى عاد الغربي أدراجه من حيث أتى" فحين تزرع صورة هذا العالم ومكانه فيه، عند طفل، فإن محوها يتطلب سنوات، إن أمكن هذا المحو"[16]. ولهذا لم يستوعب الإنسان الإفريقي هذه الأوطان الهجينة وهذه الهويات الهجينة بعد الاستقلال، وهو ما نعكس على التغريب النفسي في الأدب والرواية، وسؤال الهوية الذي لا يزال مطروح حتى يومنا هذان ولا تزال رحلة البحث عن الهوية التي تتلاءم وتتطابق مع ذات وروح الإفريقي قائمة، كما أعاد حجي جابر بطل روايته في نهاية المطاف لنقطة الصفر دون أن يجد حبيبته وهويته، وهي الدائرة المفرغة نفسها التي يدور حولها الإنسان الإفريقي الضائع بين الذات والوطن في رحلة البحث عن هويته.

-. خاتمة:

من خلال مقاربتنا لرواية حجي جابر مرسى قاطمة والتي كانت بهدف كشف التشظي الهوياتي في كتابات الروائيين الأفارقة نخلص على مايلي:

- وجد الأفريقي بعد النصف الثاني من القرن العشرين أن هوية أجداده الأولى قد أصبحت محل سؤال وشك خاصة إذا علمنا أن بعض الدول الإفريقية سعت لغزو دول أخرى كمحاولة لتصفية التركة الغربية، وبعض الدول عرفت ولازالت تعرف انقلابات في السطلة.

- توجه الإنسان الإفريقي لرد الاعتبار لذاته ولهويته مسألة حياة أو موت، إما إن يفرض كيانه وينظم لركب الحضارة الإنسانية، أو سيعود لنقطة البداية.

- هذا أساس الهوية الإفريقية الأصلي عكس ما روج عنها لقرون، وهذا ما سعر المثقف الإفريقي لكشف حقيقته للعالم بعد فترة ما بعد الكولونيالية، فإفريقيا الخارجة لتوها من غياهب الاستعمار، لا تؤسس لهوية جديدة، بل تعيد فرض هويتها المقموعة والمستبعدة من الواقع العالمي لقرون.

- يفرض الأسود تنظيمه الاجتماعي الجديد على العالم ليعيد رسم النظام العالمي الجديد ويحد ترتيبه بين الأمم، وهذا لا يكون إلا بهوية شاملة تجتمع فيها الهويات الإفريقية المتعددة

- يعتبر الروائي الإرتري حجي جابر أحد هؤلاء الذين لم ينساقوا وراء القوالب السردية الجاهزة والعالمية، بل اختار أن تكون الرواية التي تصور إفريقيا نابعة من عمق الذات الإفريقية في حد ذاتها،

- الهوية عند حجي حابر ليست مقومات ليست أسس ومبادئ نولد بها أو نكتسبها، الهوية هي ما نحب، وحين تكون الهوية هي ما نحب لن يضطر الإنسان للمفاضلة بين ذاته ووطنه.

-مرسى فاطمة إعادة تشكيل المفاهيم التي يتعلمها الإنسان دغمائيا في صغره دون أن يملك حق الاعتراض أو مناقشتها، لذلك هو صياغة جديدة لمفهوم الوطن ومفهوم الهوية ومفهوم الذات.

5. الهوامش:

[1] - فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، تر: خليل أحمد خليل، منشوراتANEP ، الجزائر، دط، 2007، ص 9

[2] - المرجع نفسه، ص 68

[3] - المرجع نفسه، ص 130

[4] - المرجع نفسه، ص 131- 132

[5] - إيناس طه، الذات والآخر في الرواية الإفريقية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2005، ص 50

-وليم إ. بورجهارت ديبويس، روح الشعب الأسود، تر: أسعد حليم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002، ص 106

[6] - رامي ابو شهاب، الرسيس والمخاتلة خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2013، ص233

[7] - محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1980، ص 128

[8] - حجي جابر، مرسى فاطمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013، ص7

[9] - المصدر نفسه، ص 23

[10] - المصدر نفسه، ص 26

[11] -المصدر نفسه، ص 44

[12] -[13] المصدر نفسه، ص68

[13] -[14] المصدر نفسه، ص68

[14] المصدر نفسه، ص108 –

[15] - نفوجي واثيونغو، تصفية استعمار العقل، تر: سعدي يوسف، درا التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2011، ص45

[16] - نفوجي واثيونغو، تصفية استعمار العقل، تر: سعدي يوسف، درا التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2011

قائمة المصادر والمراجع:

1- إيناس طه، الذات والآخر في الرواية الإفريقية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط2005،1

2- حجي جابر، مرسى فاطمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013

3- رامي ابو شهاب، الرسيس والمخاتلة خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2013

4- فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، تر: خليل أحمد خليل، منشوراتANEP ، الجزائر، دط، 2007

5- محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1980

6- نفوجي واثيونغو، تصفية استعمار العقل، تر: سعدي يوسف، درا التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2011

7- وليم إ. بورجهارت ديبويس، روح الشعب الأسود، تر: أسعد حليم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002